كتـــب

أما للجوع من آخر؟

An End to Hungar? The Social Origins of Food Strategies
By Solon L. Bartaclongh:
Publisher: Z Books and UNRISD, 1991, 289 pages.

هذا كتاب جامع لأهم استراتيجيات توفير الغذاء اللازم للمحرومين منه وبصفة خـاصة في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية. لحمته المعايشة الفعليـة لتجارب الأمم وسـداه التحليل العميق والتأصيل النظري. فمؤلف الكتاب أمـريكي. وقد نشـأ في بيئة ريفيـة في الولايـات المتحدة أثناء سنوات الكساد العظيم (١٩٢٩ ـ ١٩٣٤) وعمـل في شبابـه في مزرعـة ثم في غابة. وأدى الخدمة العسكرية في الفيليبين وبدأ اهتمامه بالتنمية في الريف بعد تسريحه في اليابان. ثم اشتغل بعد ذلك خبيراً زراعياً للولايات المتحدة في الشرق الأوسط. ثم أمضى ١٨ عاماً في منظمة الأغذية والزراعة قضى معظمها في أمريكا اللاتينية. وأخيراً عين مديراً لمعهد الأمم المتحدة لدراسات التنمية الاجتماعية بجنيف حتى سن التقاعد. ومن مـوقعه الأخـير شارك وأشرف على مجموعة من الدراسات النظـرية حـول «النسق الغذائي» Food System كما أشرف على سلسلة من الدراسات المقارنـة حول مفهـوم المشاركـة الشعبية. وهـو يقدم للقارىء اليوم خلاصة تجربته العملية والنظرية في معالجة قضية الجوع في العالم. ويضـع في مقدمة الكتاب مفهومه عن المصطلح الـذي ابتذل في كثـير من البلدان «الأمن الغـذائي» فيقول إنه يعني في نظره «توفير الغذاء على نحو مؤمن ومطـرد لكل فئـات المجتمع وأفـراده بالكميات والنـوعية التي تغطي الحـاجة إلى التغـذية». وابتـداء من هذا التعـريف يرى أن النسق الغذائي الذي يوفر هذا الأمن يجب أن تتوافـر له الخصـائص التاليـة: أ ـ القدرة على الانتاج والتخـزين والاستيراد (الممـول من صادرات البلـد المعني) بما يكفي لإشبـاع حاجات كل فئات المجتمع. ب ـ تحقيق الحد الأقصى من الاعتماد على النفس للتدني بآثـار تقلبات السوق العالمية والضغوط السياسيـة الخارجيـة. جـ ـ تأمـين الغذاء المطلـوب عبر التقلبات الموسمية أو المتعلقة بالدورات الاقتصادية. د ـ مـراعاة عـدم الاضرار بالبيئـة أو سوء استخدام الموارد الطبيعية كضمان لاطراد هذا النسق. هـ ـ العدالة، وعلى أقل تقدير توفير الحد الأدنى اللازم للتغذية بشكل منتظم لكل فئات المجتمع.

وبهذا الفهم الشامل لجوانب المشكلة والتحديد الواضح لمنهجية الدراسة خصص المؤلف القسم الأول من الكتاب لمعالجة «أثر عمليات التحديث على المستوى المحلي». فيشرح تلك الآثار على نظم حيازة الأرض. بدأ من المجتمعات التي جددت أجزاء من القطاع الزراعي وأهملت أجزاء موضحاً ديناميكية تدهور الانتاج نتيجة لهذه الازدواجية. ثم ينتقل لبحث آثار التحديث في البلدان التي كانت تعيش في نظم ملكية مشاعة أو جماعية. ويلي ذلك وضع سيطرة أعيان الريف من الفلاحين الأغنياء الذين يستفيدون من النفوذ السياسي الذي يستمدونه بشكل وبآخر من الدولة. وهو في كل حالة يعرض بالتفصيل ما وقع فعلاً في أقطار بذاتها تمثل كلاً من الأوضاع الثلاثة. ويختم هذا القسم بفصل كامل عن «التحديث والأمن الغذائي في الصين». وفيه تظهر موضوعية المؤلف ودقة ملاحظته للواقع. فهو يعرض بشيء من التفصيل التجربة الصينية بما حققته من نجاح أو جوانب سلبية وحدود النجاح المحقق إزاء التطورات التي يعرفها المجتمع الصيني، بعيداً تماماً عن أي موقف مذهبي.

وفي القسم الثاني من الكتاب يعرض المؤلف لديناميكيات استراتيجيات الغذاء على المستوى الوطني. فيعرض تباعاً الجوانب التوزيعية على العاجزين عن شراء الغذاء الفردي، ثم استراتيجيات زيادة الغذاء وما يرتبط بها من أولويات الاستثمار وسياسة الأسعار وأشكال التجارة وتكوين مخزون استراتيجي. ويخصص المؤلف بعد ذلك فصلاً كاملاً لدراسة مختلف تجارب الإصلاح الزراعي ودوره الفعلي في تطوير نسق الغذاء. ويلي ذلك دراسة عن المشاركة الشعبية ودورها في توفير الأمن الغذائي. ويختم هذا القسم بتحليل لأهمية عامل الإرادة السياسية.

أما القسم الثالث والأخير فعنوانه «القيود والفرص في إطار الاقتصاد العالمي». ويعرض تباعاً لمفهوم الاعتماد الجماعي على النفس (مصحوباً بمحاولات عملية). ثم يبحث موضوع الانتقال من أوضاع التبعية إلى أوضاع الاعتماد المتبادل. ويختتم المؤلف الكتاب بفصل عنوانه «قضايا واشكاليات» يتعرض فيه إلى ما يلي: افتقاد الأمن الغذائي لمفهوم النسق (بالمعنى المستخدم في تحليل الأنساق)، الدور الحاسم للبنية الاجتماعية الاقتصادية في تحديد ما يمكن عمله لتوفير قدر من الأمن الغذائي في مجتمعات مختلفة، الأصول الاجتماعية لاستراتيجيات الغذاء، اشكالية المشاركة الشعبية، اشكالية التراكم الرأسمالي (العلاقة بين الاستهلاك والادخار)، اشكالية تحسين البيئة، البحث عن نظام دولي جديد، ثم بعض الاشكاليات الوهمية في مجال تغيير المؤسسات ويعني هنا المناقشات حول القطاع العام والقطاع الخاص، وحول قوى السوق والتخطيط الإلزامي، وحول الاختيار بين الرأسمالية والاشتراكية.

هذا، والكتاب موثق توثيقاً دقيقاً يرد كل بيان إلى مصدره الأصلي، ويناقش الآراء المطروحة بجدية وواقعية (بالكتاب ٣١٩ حاشية) وينتهي بفهرس أبجدي لموضوعات البحث.

اسماعيل صبري عبد الله